(٦)

المترفـــون والمتحللـــون

المترفون والمتحللون

العدو السادس من الذين يعادون الحل الإسلامى، ويتوجسون منه، ويقفون فى وجهه: صنف من الناس وقف دائما فى وجه كل رسالة، وقاوم كل دعوة إلى الحق والعدل، أولئك هم المترفون والمتحللون وأصحاب الشهوات.. فهم حريصون على لهوهم ومتعهم، حريصون على شهوات بطونهم وفروجهم، حريصون على أن يظلوا غارقين فى الذهب والحرير، والخمر، والميسر، فى الموائد الخضر، والليالى الحمر، والمسالك السود.

هؤلاء يخشون الإسلام، لأنه سيحرمهم متعهم الحرام، وسيسد فى وجوههم أبواب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، بل ربما يقيم عليهم حدود الله التى تهتك سترهم أمام طوائف المؤمنين الذين لا تأخذهم بهم رأفة فى دين الله.

إن حياة العفاف والطهر والنظافة ثقيلة على هؤلاء كالجبل، مرة المذاق كالحنظل، دقيقة مخوفة كحد السيف.

إن أضواء هذه الحياة الشريفة الجادة الطاهرة تعشى أبصارهم، لأنها لم تتعود إلا حياة الظلام والسواد كالخفافيش.

حياة بلا خمر ولا ميسر ولا نساء؟!

حياة بلا رقص ولا فجور، ولا عبث ولا مجون؟!

حياة بلا حانات ولا كباريهات؟!

حياة يجلد فيها السكيرون، ويعزر فيها المقامرون ويحجر فيها على السفهاء المبذرين، ويجلد أو يرجم الزناة ودعاة الشذوذ والدياثة؟!

إن حياة من هذا النوع إنما هى جحيم لا يطاق.. والواجب أن يحارب أنصارها، ويطارد الدعاة إليها.

هذا هو منطق المتحللين، وأصحاب اللذات الحيوانية منذ عهد قوم لوط

الذين: ﴿ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء:١٦١ – ١٦٧].

كما ذكر القرآن في آية أخرى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل: ٥٦].

يا عجبا!! إن الدعوة إلى الطهر والفضيلة أصبحت تهمة في نظر المتحللين وتستحق أن يطرد أصحابها من البلد وينفوا من الأرض.. ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾!!

هذا هو منطق المترفين والمتحللين قديما- وهذا منطقهم حديثا (تشابهت قلوبهم).

وأكد القرآن هذه السنة الاجتماعية حين بين لنا أن المترفين دائما أعداء كل رسالة، وخصوم كل إصلاح وتجديد، وأنصار الجمود على كل قديم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤] وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾

[الزخرف:٢٣ – ٢٤]

فالقوم عبيد شهواتهم، وإنما يتخذون الآباء عكازا يتوكأون عليه، وهذا دأبهم دائما: يفرون من المواجهة، وينقلون القضية إلى ميدان آخر، كالحفاظ على تراث الآباء، هنا!.

وأحيانا أخرى يجعلونها قضية فكرية « أيديولوجية » فهم يرفضون الدين

كله بوصفه عقيدة وفكرة ومنهج حياة، لا لأنه يلزمهم الجادة، ويفرض عليهم الاستقامة، ويقيدهم بالفضيلة، وهم أسرى الهوى، وعباد الشهوات، كما هو الواقع.

بل هم يرفضون الدين - بزعمهم - لأنهم غير مقتنعين بالدين، لأنهم «علميون» أو «واقعيون» أو «عصريون» أو «ملحدون» «والدين رجعية» و«الدين خرافة»، «والدين مخدر».

الحقيقة أن القوم منحلون، لا ملحدون، أعنى أنهم انحلوا أولا من كل فضيلة وشرف، وانغمسوا فى كل رجس ورذيلة، ثم بحثوا عن مبرر يسترون به سوءاتهم، مبرر يحلل لهم الاستمرار فى الخبث والنجس والعفن، مبرر يعفيهم من تحمل مسؤولية انحرافهم وتلوثهم أمام ضمائرهم على الأقل، فوجدوا هذا المبرر فى بدعة الإلحاد، وخلع ربقة الدين، والسخرية من المتدينين المستقيمين، أن يقولوا: ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر!

وصدق ما قاله شيخنا الدكتور عبد الحليم محمود: إن الإلحاد فى ديارنا ليس إلحاد عقل وفكر، ولكنه إلحاد بطن وفرج!!

ومثل هؤلاء المترفين والمتحللين - بل منهم - كثير من أصحاب المال والسلطان والملك، من الحكام المستبدين، والإقطاعيين المتسلطين، والرأسماليين الجشعين، وكل ذى سلطة حرام، أو ثروة حرام، أو امتياز حرام، فهو يخشى من النظام الإسلامى أو المنهج الإسلامى أو الحل الإسلامى، أن يعامله بالقسط، ويحاسبه بالعدل، ويقومه بالحق، ويجرده من سلطته أو امتيازه أو ثروته، أو مكاسبه التى حصل عليها ظلما وعدوانا، ولا يتيح له من الفرص أكثر مما يتيح لغيره من بنى قومه.

هؤلاء المحتكرون للمال والجاه، المستغلون لعرق الكادحين من جماهير الأمة، الآكلون لأموال الناس بالباطل، المتمتعون بالامتيازات والفرص الذهبية، التى لم يتح عشرها، أو عشر عشرها لغيرهم، الفاغرون أفواههم لابتلاع الرشا بالملايين، يخافون حكم الإسلام ويكرهونه.

وكراهية هؤلاء للحل الإسلامى، إنما هى كراهية اللصوص للقانون العادل الذى يخشون سلطانه، ويخافون جزاءه، أو للشرطى الشريف الذى يقبض عليهم بشجاعة، أو للقاضى النزيه الذى لا يقبل رشوة، ولا ينحنى لسطوة، ويحكم عليهم بالقسط لا يخاف فى الله لومة لائم.

ولكنهم أخبث وأدهى من أن يعلنوا ذلك أو يصرحوا به. بل يعلنون شيئا آخر يعللون به معاداتهم للاتجاه الإسلامى - مثل اعتذارهم بوجود الأقليات غير المسلمة، أو قولهم: إن عصرنا أصبح عصر العلم لا عصر الدين، كأن الدين والعلم خطان متوازيان لا يلتقيان!! أو ادعاء بعضهم أن العالم قد تطور ولم يعد يصلح أن تحكمه شريعة عمرها أربعة عشر قرنا!!

إلى غير ذلك من الأباطيل والشبهات التى تجيد صناعتها وإذاعتها القوى العالمية المعادية للإسلام فى الخارج، وعملاؤها وأعوانها فى الداخل، من الاستعمار وتلاميذه، واليهودية ومؤسساتها، والشيوعية وذيولها، ومن عبيد الفكر الغربى الذين يرددون ما يقوله هؤلاء من حيث يعلمون أو لا يعلمون، ومن الحكام المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما يؤمرون: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

* * *